الأفعال الكلامية
ودورها في تداول الخطاب الشعري
عند أمل دنقل في قصيدته :
(البكاء بين يدي زرقاء اليمامة)

الدكتور

رجب أحمد عبد الرحيم حسن

مدرس البلاغة والنقد الأدبي ـ كلية دار العلوم ـ جامعة المنيا ـ
جمهورية مصر العربية

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

الجزء الأول

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

الأفعال الكلامية ودورها في تداول الخطاب الشعري
عند أمل دنقل في قصيدته : (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة)

رجب أحمد عبد الرحيم حسن
قسم البلاغة والنقد الأدبي ـ كلية دار العلوم ـ جامعة المنيا ـ جمهورية مصر العربية
البريد الإلكتروني: Dr1_ragab_makawy@yahoo.com

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة قصيدة البكاء بين يدي زرقاء اليمامة لأمل دنقل "وفق نظرية الفعل الكلامي، هذه النظرية التي تُعنى بدارسة المعنى الذي تعدّه هو الاستعمال ، فهناك عبارات إذا نطقت بها لا تنشئ قولاً فحسب بل تؤدي فعلاً في الوقت نفسه ، وهذا ما سنركّز عليه في تحليل هذه القصيدة التي حاولت قدر الإمكان دراساتها دراسة وافية وفقاً لهذه النظرية ، وتقسيم الأفعال فيها حسب حقولها الدلالية .

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة ، تحدثت في المقدمة عن تعدد القراءات للأثر الأدبي بحسب الاتجاهات والمدارس اللسانية ، وعن سبب اختيار الموضوع إيمانا مني لما لنظرية الأفعال الكلامية من أثر طيب في الكشف عن خصائص الخطاب الشعري، وإقرارا بما تزخر به هذه القصيدة من ظواهر يتعّذر فهمها دون الرجوع إلى إحالاتها الخارجية ، وقد اخترت قصيدة البكاء بين يدي زرقاء اليمامة لأنها تحمل قيما تداولية، أراد الشاعر تبليغها إلى المتلقي، ومن ثم حمله على إنجاز فعل ما، فلا بد من إيضاح هذه القيم والكشف عنها

وأما المبحث الأول فقد تحدثت فيه عن نظرية الفعل الكلامي، حيث نشأت فكرة أفعال الكلام في أحضان فلسفة اللغة، في طور نشأة التداولية

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وتطورها، والتي ترى أن الاستعمال اللغوي "ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضا وقد اخترع هذه النظري أوستن وتابعه سيرل

وأما المبحث الثاني : فهو تطبيق عملي لتلك النظرية ، فقد درست الأفعال الكلامية في قصيدة البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ، معتمدا فى ذلك على تصنيف سيرل (Searle)

أما الخاتمة فقد ضمنتها أهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية: أمل دنقل ، زرقاء اليمامة ، الخطاب الشعري ، الحقل الدلالي ، الفعل الكلامي .

Verbal verbs and their role in poetic speech circulation Upon Amal Dunqul in his poem: (Crying in the Hands of a Blue Dove)

Ragab Ahmed Abdel Rahim Hassan
Department of Rhetoric and Literary Criticism - Faculty of Dar Al Uloom - Minia University - Arab Republic of Egypt
Email: Dr1_ragab_makawy@yahoo.com

Abstract

This research aims at studying the poem of crying in the hands of Blue Yamamah to Amal Dunkul. "According to the theory of verbal action, this theory which is concerned with the study of the meaning that is prepared is the use. There are phrases that if uttered do not only create a word but actually act at the same time, In the analysis of this poem, which tried, as far as possible, a thorough study according to this theory, and the division of verbs in them by their semantic fields.

This research was divided into an introduction, two chapters and a conclusion. I spoke in the introduction about the multiplicity of readings of the literary effect according to the directions and the linguistic schools, and the reason for choosing the subject. I believe that the theory of verbs has a good effect on revealing the characteristics of the poetic discourse, and acknowledging the richness of this poem Can not be understood without reference to external referrals, and I chose the poem crying in the hands of blue Yamama because it carries the values of circulation, the poet wanted to communicate to the recipient, and then carry it to accomplish something, it is necessary to clarify these values and disclosure

As for the first topic, I have lost the idea of the verb verb. The idea of the acts of speech arose in the lap of the philosophy of language, in the process of the development and development of deliberation, which sees linguistic use not only as a linguistic expression, but also as a social event. Searle

As for the second topic: it is a practical application of this theory, I studied the verbs in the poem crying in the hands of blue Yamama, relying on the classification of Searle, (Searle) .

The conclusion was included in the main findings from this study.

Keywords : Poem, Blue Yamama, Poetic discourse, Semantic field, Verbal verb.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد،

يظل الشعر العربي ، قديمة وحديثه ، مهما تغير الزمان والمكان ، وتباعدت الأوطان ، وطغت المادية ، موئل الدارسين ومهوى أفئدتهم، لعلو طبقته وكثافة معانيه، فهو أغنى بالمجازات، وأوصل وشيجة بالذات، يكتنز بالوظيفة التعبيرية التي تفصح عن الانفعالات والعواطف والأحاسيس.

ولعل الجانب الإجرائي الذي أضحى يفرض سلطانه على الدارس اللساني الحديث، هو الانطلاق نحو النظام المفتوح الذي يتجاوز النسق المغلق إلى أحوال الاستعمال، فَتَدُرس خصائص الخطاب على ضوء ارتباطها بالمقامات التخاطبية، وبمراعاة المقاصد، وسياق التلفظ.

وقد تعددت القراءات للأثر الأدبي " بحسب الاتجاهات والمدارس اللسانية ، وصولا إلى آخر ما توصلت إليه اللسانيات الحديثة ، المتمثل في اللسانيات التداولية التي شقت طريقها من اللغة إلى الأدب، كقراءة جديدة للإنتاجية الأدبية ، تراعى فيها كل عناصر الاتصال اللغوي ذات المستويات المتداخلة، كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب، وعلاقة البنية بظروف الاستعمال." (١)

---

(١) طارق خلايفة (٢٠١٥م) : تلقي الخطاب الشعري من منظور تداولي في قصيدة "منشورات فدائية على جدران إسرائيل" لنزار قباني رسالة ماجستير مخطوطة في الآداب ، إشراف دكتور عمار شئلواى ، الجزائر ، كلية الآداب ، جامعة محمد خيضر ، ص أ من المقدمة .

وإذا كان الأمر كذلك؛ فإن الخطاب الشعري المعاصر، ولا سيما الثوري منه لا تستقيم مقاربته ما لم يكن لملابسات القول نصيب في تحليل بنياته.

وقد ارتأيت في سبيل تأكيد ذلك أن أتخير قصيدة " البكاء بين يدي زرقاء اليمامة " لأمل دنقل وأقاربها تداوليا، ضمن تداولية الدرجة الثالثة؛ وهي نظرية الأفعال الكلامية، إيمانا منّي بما لهذه النظرية من أثر طيب في الكشف عن خصائص الخطاب الشعري، وإقرارا بما تزخر به هذه القصيدة من ظواهر يتعّذر فهمها دون الرجوع إلى إحالاتها الخارجية، فالقصيدة تتسم خطاباتها بثراء الفن والمضمون، فحسبها أّنها سجلٌ لأحداث تاريخية ارتبطت بإرهاصات النكسة قبل وقوعها عام ١٩٦٧م ، فهي لذلك تحمل قيمًا تداولية، أراد الشاعر تبليغها إلى المتلقي، ومن ثم حمله على إنجاز فعل ما، فلا بد من إيضاح هذه القيم والكشف عنها.

الهدف من البحث :

تحليل الخطاب الشعري في قصيدة البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ، وفق مقتضيات الدراسة التداولية، ضمن تداولية الدرجة الثالثة؛ وهي نظرية الأفعال الكلامية وباستغلال إمكاناتها التحليلية.

أهمية البحث :

يسعى هذا البحث إلى دراسة نظرية تداولية، تندرج ضمن تداولية الدرجة الثالثة؛ وهي نظرية الأفعال الكلامية، وقد تأسست هذه النظرية على يد الفيلسوف الانجليزي "أوستين" (Langshaw AUSTIN)، سنة ١٩٦٢م ، وذلك فى كتابه كيف ننجز الأشياء بالكلمات ، ثم قام بتطويرها تلميذه "سيرل" (J. SEARLE) ، ونظم أفكارها ، و اقترح تعديلا لتقسيم

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

"أوستين"، وذلك عام ١٩٦٩م في كتابه الموسوم أفعال الكلام .« Speech acts» [(١)] ومن خلالها سنحاول دراسة الخطاب الشعري في قصيدة البكاء بين يدى زرقاء اليمامة لأمل دنقل " معتمدين في ذلك تقسيم "سيرل" للأفعال الكلامية؛ والمتمثل في: التقريريات، والوعديات، والتوجيهيات (والتكليفات)، والتعبيريات، والإعلانيات.

خطة البحث :

وقد ارتسم البحث في هيكل تنظيمي قوامه: مقدمة، ومبحثان، وخاتمة.

- خصصت المبحث الأول للحديث عن نظرية الفعل الكلامي.
- خصصت المبحث الثاني : لدراسة الأفعال الكلامية في قصيدة البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ، معتمدا فى ذلك على تصنيف سيرل ، (Searle) .
- أما الخاتمة فقد ضمنتها أهم النتائج المستخلصة من هذه الدراسة.

منهج الدراسة :

وحري بالبيان أن المنهج المتبع في تحليلي للخطاب الشعري في قصيدة البكاء بين يدي زرقاء اليمامة هو المنهج التداولي ، معتمدا على الدرجة الثالثة منه وهى نظرية الأفعال الكلامية ؛ فقد حاولت قدر الإمكان الإفادة من إمكاناتها التحليلية؛ ذلك لأن التداولية على وجه العموم إستراتيجية هامة في تحليل الخطاب الأدبي؛ لجمعها بين البنائية الوصفية

(١) ينظر:بوفرومة حكيمة (٢٠٠٨م) : دراسة الأفعال الكلامية فى القرآن الكريم . مقاربة تداولية . المدينة الجديدة- تيزي وزو ، العدد الثالث: مايو . مجلة الخطاب ، دار الأمل للطباعة والنشر ، ، ص ١١ .

والسياقية والوظيفية وغيرها من الحقول التي تلتقي مع الدرس التداولي، في الوقت الذي باتت فيه الحاجة إلى تفسير الظواهر أكثر من وصفها، لأن الوصف وحده يعزل الأثر الأدبي عن التاريخ، كون العملية الإبداعية أو اللغوية لا تتحقق إلا في ظل تواصل فعلي يستوفي كل شروط التداول ٠

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول

نظرية الأفعال الكلامية

أفعال الكلام Les Actes de Langage

نشأت فكرة أفعال الكلام في أحضان فلسفة اللغة، في طور نشأة التداولية وتطورها، والتي ترى أن الاستعمال اللغوي "ليس إبراز منطوق لغوي فقط، بل إنجاز حدث اجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه."(١)

أفعال الكلام عند أوستين:

تصدى " أوستين" لفكرة أن اللغة مهمتها وصف وقائع العالم، وأطلق عليها مصطلح المغالطة الوصفية ، ويمكن تلخيص فكرته في نقطتين (٢) :

- الأولى: تتمثل في رفضه ثنائية الصدق والكذب.

- الثانية: تتمثل في إقراره بأن كل قول عبارة عن فعل، ليميز بين نوعين من العبارات، فالأولى عبارات تخبر عن وقائع العالم الخارجي، ويمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب ، والثانية تنجز بها أفعالا ، وهى لا تخضع لهذا المعيار ، وبهذا يمكن القول بان أوستين وضع نظرية الأفعال الكلامية.

وقد ميز أوستين بين نوعين من أفعال الكلام (٣) :

---

(١) فان دايك (٢٠٠١م) . علم النص.مدخل متداخل الاختصاصات. ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري. ط١ القاهرة – مصر- . ص١٨ .

(٢) طارق خلايفة : تلقى الخطاب الشعرى من منظور تداولى ، ص ٢٠ .

(٣) ينظر : آن روبل، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص ٣٠ –٣١ .

١- أفعال إخبارية: وهي أفعال تخبر عن وقائع العالم وتكون خاضعة لمعيار الصدق أو الكذب، فجملة من قبيل : مصر دولة عربية إسلامية تمثل فعلا إخباريا يتأكد صدقه من خلال مطابقته للواقع ، أما جملة المملكة العربية السودانية فهي تمثل فعلا إخباريا كاذبا ، لأنه مخالف للواقع حيث إن السودان جمهورية وليست مملكة .

٢- أفعال أدائية إنجازية (إنشائية): وهي أفعال لا تصف الواقع بل تعمل على تغييره ، وهذه الجمل الإنشائية لها خصائصها التي تميزها عن الجمل الخبرية (الوصفية) من ذلك أنها تسند إلى ضمير المتكلم في زمن الحال، وتتضمن فعلا من قبيل (أمر) و(وعد) و(أقسم) و(عمّد) يفيد معناه على وجه الدقة إنجاز عمل.

وقد لاحظ "أوستين" أن هناك ألفاظا محيرة مما يدرج في الجمل الوصفية لا تستخدم لتخبر عن الواقع، بل تستعمل لتدل وتنبه على الظروف والملابسات التي وقع فيها حكم مضمون الجملة [١] . فمعنى ذلك أن بعض الأفعال الوصفية الإخبارية تنجز فعلا كلاميا ، ففي قول القائل : (أنا عطشان) فحقيقة المنطوق فعل إخباري، لكنه أدى وظيفة الأفعال الأدائية، لأنه أدى معنى الطلب ، فبدلا من أن يقول : (ناولنى كوب ماء)، قال : (أنا عطشان) .

(١) جون لانكشو أوستين (٢٠٠٨ م): نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام. ت رجمة: عبد القادر قنيني. ط٢ .الدار البيضاء- المغرب-. إفريقيا الشرق. ص ١٤) .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن خلال بحثه رأى أوستين أن الفعل الكلامي الكامل مركب من ثلاثة أفعال فرعية ، وهى : فعل القول (المتلفظ به) ، والفعل المتضمن في القول (القوة الإنجازية) ، الفعل الناتج عن القول (الفعل التأثيري) [١]

وقد صنف أوستين الأفعال الكلامية إلى خمسة أقسام بحسب قوتها الإنجازية وهى : أفعال الأحكام (الإقرارية) ، أفعال التعهد (التكليفية): أفعال السلوك (الإخبارية): أفعال السلوك (الإخبارية): أفعال الإيضاح [٢]

وبعد أوستين وسع تلميذه سيرل نظرية أفعال الكلام، فأوضح لكل فعل شروط إنجازه، ووضع مجموعة من القواعد تتحول بها الأفعال الكلامية المباشرة إلى أفعال غير المباشرة.

وقد انتقد "سيرل" تقسيم أستاذه السابق ؛ لأنه لم يراع مجموعة من المعايير أهمها :غاية الفعل، ووجهة الإنجاز، وأسلوب إنجاز الفعل الإنجازي وغيرها ؛ لذا اقترح تعديلا لتقسيم "أوستين"، يقوم على ثلاثة أسس منهجية هي: "الغرض الإنجازي، واتجاه المطابقة، وشرط الإخلاص، وجعلها خمسة أصناف: التقريريات ، والالتزاميات ، والتوجيهات، والتعبيريات، والإعلانيات." [٣]

---

(١) ينظر : طارق خلايفة : تلقي الخطاب الشعري من منظور تداولي ٢١ ، ٢٢

(٢) ينظر : محمود أحمد نحلة. (٢٠٠٠ م) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. (د.ط) الإسكندرية – مصر– دار المعرفة الجامعية، ، ص ٤ .

(٣) سامية شودار (٢٠١٤م): الخطاب الشعري في أطلس المعجزات لصالح الخرفي ، دراسة تداولية ، رسالة ماجستير مخطوطة بإشراف دكتور صلاح الدين ملاوي ، الجزائر .كلية الآداب ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، ص ٩٦ .

وهكذا جاءت نظرية أفعال الكلام التداولية لتغير تلك النظرة التقليدية للكلام التي كانت تعتمد أساسا على الاستعمال المعرفي والوصفي للكلام، ونظرت إلى اللغة باعتبارها قوة فاعلة في الواقع ومؤّثرة فيه، فألغت الحدود القائمة بين الكلام والفعل،" فأي معلومة حسب باختين تقدم لشخص ما مثارة بواسطة شيء ما، وتسعى إلى تحقيق هدف ما، فهي حلقة ضمن سلسلة التبادل الكلامي الدائر في فلك الحياة العادية للناس ."(١)

وتعن لنا إشكالية هنا في بحثنا هذا :وهى كيف لنا أن نحلل الخطاب الشعري بنظرية الأفعال الكلامية وهى موضوعة في الأصل للغة العادية ، فكيف ننتقل بها من العادي إلى الأدبي ؟، ذلك " أن التداولية تعمل على تحليل الخطابات العادية واليومية في حالة الاستعمال والإنجاز ، في حين أن الخطاب الأدبي خطاب خيالي ووجداني عاطفي ، يصدر عن الجانب غير المنطقي والعقلي لدى الإنسان ، فهو كما يصفونه خلق لغة من لغة ، ولذلك فهو يبدو خطابا منزوع السياق ، من خلال ما يلاحظ عليه من مسافة زمنية، ومكانية بين مرسله ، والمرسل إليه أثناء عملية تلقى هذا الخطاب ."(٢)

هذا الذي جعل البعض يرفض أن تحلل نظرية الأفعال الكلامية الخطاب الشعري، متذرعين بأن تلك النظرية اهتمت بدراسة الأفعال العادية وليس اللغة الشعرية ، فهل فعلا لا تصلح نظرية الأفعال الكلامية في تحليل الخطاب الشعري ؟

---

(١) بوفرومة حكيمة : دراسة الأفعال الكلامية فى القرآن الكريم ، مقاربة تداولية السابق ، ص١١ .

(٢) بولفعة خليفة (٢٠٠٨م) : مدخل إلى النظريات التداولية ، الطبعة الأولى ، الجزائر ، مطبعة رويغى ، الأغواط ، منشورات الحياة ، الصحافة الجلفة ، ص ١ ، ٢ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الحقيقة أن قصر تلك النظرية على تحليل الأفعال العادية غمط لها ، وتحجير لها ، والباحث يرى أنها صالحة لدراسة هذا وذاك " فطالما أن هناك ملفوظا ما ، هناك أيضا فعل ما متضمن في هذا الملفوظ ، وهناك إنجاز ما لذلك الفعل ، وهناك تأثر به ، وإذا كان هناك من مشكل في دراسة اللغة الشعرية ، فهو مشكل (عالم الخطاب) حسب تعبير تشارلز سندرس بورس s . ch .peirce ، أي مشكل العلاقة بين الخطاب والمحيط ، الذي يحال إليه المتكلم والمستمع ." (١)

هذا الذي جعل رومان ياكبسون Jakobson يرى أن للدراسة اللسانية للشعر أهمية مزدوجة ، فهو يعتبر أن اللسانيات يمكن أن تكون مساعدة للشعرية ، بالإضافة إلى انتقاده لبعض الأفكار التي تقود إلى جهل باللسانيات المعاصرة وأهدافها ، حيث تقود بعض النقاد إلى السقوط فى هفوات خطيرة حيث يحصرون اللسانيات في الحدود الضيقة للجملة ، التي لا يمكن بالتالي أن تعتني ببناء القصائد ، وهذا ما جاءت لتبطله دراسة الأقوال ذات الجمل المتعددة ، وتحليل الخطاب وهما المجالان اللذان يتصدران اليوم ، علم اللغة . (٢)

ومما يرشح لنا تطبيق تلك النظرية في بحثنا هذا ، أننا تناولنا شاعرا كان لصيقا بالأحداث اليومية المعاصرة ، لقد كانت جل قصائد شاعرنا أمل

---

(١) بوزيد عائشة (٢٠١٠م) الأفعال الكلامية فى الشعر السياسى لنزار قبانى ، رسالة دكتوراه مخطوطة ، إشراف الدكتور عبد الحليم بن عيسى ، كلية العلوم الإنسانية ، الجزائر ، جامعة وهران .

(٢) ينظر :رومان ياكبسون(١٩٨٨م) : قضايا الشعرية ، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون ، الطبعة الأولى ، المغرب ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ص ٧٩ .

لصيقة بالأحداث اليومية السياسية التي اجتاحت الوطن العربي في فترة الستينيات والسبعينيات٠ وبهذا لا يمكننا القول بأنه لا وجود لعلاقة بين التداولية ولا سيما الأفعال الكلامية ولغة الشعر " فالنص الشعري أي نص هو تحقيق شيء من شيء ، تحقيق نص مبهر فذ من الشائع المبتذل ، فكونه تجربة فردية لا ينفى مطلقا انطلاقه مما هو جماعي مشترك ، وإنما تكمن قدرة الشاعر أساسا في قدرة التغيير ، أو التعديل التي يدخلها على الشائع المعروف فيأتي في صورة جديدة ، أو كالجديدة ، صورة نسجتها الموهبة والثقافة ، وثراء الأحاسيس ، والرؤية المتميزة للعالم والأشياء واللغة أيضا٠"[١]

(١) سامية الدريرى (٢٠٠٧م): الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة ، بنيته وأساليبه ، الأردن عالم الكتب للنشر والتوزيع ، إربد ، ص ٧٥ ٠

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الثاني

تحليل قصيدة (البكاء بين يدى زرقاء اليمامة)

حسب نظرية الأفعال الكلامية

قصيدة (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) [١]، من أعظم قصائد أمل دنقل التي وصلت لأوجها الفني والموضوعي والتعبيري والفني ، وهي القصيدة الطيارة التي تطير بك من الحاضر والماضي ، ففي غمضة عين تجوب بك الأزمنة والأمكنة ، وتنقلك من الأرض للسماء ، أو تحط بك من شاهق لسابع أرض "وهي قصيدة دالة في إدانتها للأنظمة التي أوقعت الهزيمة بشعوبها، ودالة على أن الهزيمة تتخلق في الداخل ، قبل أن تأتي كالعاصفة الجائعة من الخارج، ودالة على أن الشعوب المحكومة لا تملك سوى البكاء ، عندما تشعر بهوان وضعها، ولكن من الزاوية التي تجعل من بكائها تمردًا على كل من تسببوا في هزيمته ."[٢]

وهذه القصيدة من أهم قصائد أمل دنقل بعد هزيمة العام السابع والستين، حيث جذبت الأنظار إليها وإلى شاعرها، وذلك عندما أعادت إلى الأذهان مأساة (زرقاء اليمامة) التي تبين التشابه بين الماضي والحاضر، فإنه أكد الهوية القومية لشعر أمل دنقل من حيثُ وصل الرموز بجذورها في التراث العربي الذي يصل بين المبدع والقارئ، ومن حيثُ ربط هذه الهوية برؤية لا ترى إمكانًا للمستقبل إلا بنهضة قومية ، تستعيد أعظم ما في الماضي من خبرات ، وتتجاوز ما في الحاضر من ثغرات.

---

(١) أمل دنقل (٢٠٠٥م): الأعمال الكاملة ، قصيدة البكاء بين يدي زرقاء اليمامة، مصر ، مطبعة مدبولي ، الطبعة الثانية،ص١٠٥

(٢) دكتور سيد البحراوى (١٩٩٤م)، الحداثة العربية فى شعر أمل دنقل ، من كتاب دراسات نقدية فىأعمال السياب ، ط١ ، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات ، ص ١٢٢ .

ولا شك أن جانبا لافتا من التأثير الذي تركته هذه القصيدة يرجع إلى طبيعة الصوت الذي ينطقه القناع بها، فهو صوت المواطن العربي البسيط الذي يقف أعزل بين السيف والجدار، يصمت كي ينال فضلة الأمان، كأنه عبد من عبيد عبس يظل يحرس القطعان، يصل الليل بالنهار في خدمة السادة، طعامه الكسرة والماء وبعض التمرات اليابسة. وحين تقع الواقعة لا يملك هذا العبد سوى التوجه إلى (زرقاء اليمامة) التي هي مثله بمعنى من المعاني، كي ينفجر في حضرتها بالكلمات والشكوى.

وزرقاء اليمامة شخصية ميثيولجية أسطورية عربية قديمة وهي امرأة من جديس من القبائل العربية البائدة من أهل اليمامة، وكانت زرقاء العينين ترى الشخص على مسيرة ثلاثة أيام، وهي أبصر خلق الله عن بعد، والعرب تضرب المثل بزرقاء اليمامة ؛ لجودة بصرها ولحدة نظرها، أنذرت قومها من العدو فلم يصدقوها إذ استتر العدو بقطع الأشجار، وحملوها أمامهم ، وعندما وصلوا إلى قومها أبادوهم ، وفقعوا عينيها.[١]

وبهذا تكون زرقاء اليمامة قد عبرت عن : (العرافة – المقاتل – الشعب – المثقفون – الشعراء) إذ تبدو زرقاء اليمامة العرافة المقدسة، شاهدًا على ما يمكن أن يفعله الشعر في زمن الهزيمة، "من حيث هو صورة أخرى من هذه العرافة، يرى ما لا يراه الآخرون ويرهص بالكارثة قبل وقوعها، يتولى تعرية الأسباب التي أدت إليها، غير مقتصر على الإدانة السلبية في سعيه إلى استشراف أفق الوعد بالمستقبل الذي يأتي بالخلاص ، وهذا يؤكد أن استدعاء التراث من قبل أمل دنقل وشخصياته لم يكن من

(١) ينظر: أبو الفضل احمد بن محمد الميداني (٥١٨ ه) (١٩٧٢ م) : مجمع الأمثال، ت محمد محي الدين عبد الحميد . بيروت ، دار الفكر، ٣ / ١١٤ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

موقع المواجهة مع هذه الشخصيات ، بل تأتي محملة بتاريخها دون أن تتركه، تحمله معها بكثير من تفاصيله، ليتحول إلى شخص يعيش في زماننا ."[١]

ويبدو أن استدعاء زرقاء اليمامة واللجوء إلى هذه الأسطورة في الفكر العربي المعاصر هو استحضار للبطولة الغائبة، وحنين لها، وعندما نستدعي البطل الأسطوري والتاريخي عبر زمن القصيدة وشفافيتها، فإن توقاً شديداً ليدفعنا إلى تمثّل حالات هذا البطل علّه يكون المفدّي والمخلّص، والشعلة التي تنير لنا طريقا مظلما.

وفى هذه القصيدة أيضا يظهر تعدد الأصوات ، "إذ أن تعدد الأصوات يدحض الذات الناطقة وقد طرحت من قبل باختين في أعماله، حيث يعبر بالعديد من الأصوات دون أن يظفر أي صوت بالهيمنة على الأصوات الأخرى ."[٢]

لقد وجدنا فى هذه القصيدة : صوت الشاعر – والصوت الصامت لزرقاء اليمامة والمتكلم – والملكة الزباء التي كانت ملكة الجزيرة، تتكلم العربية، وكان جسيمة قد وترها بقتل أبيها، فلما استجمعت أمرها وانتظم شمل ملكها، أحبت أن تغزو جذيمة، ولما علم ابن عدي ابن أخ جذيمة استجمع أنصاره للثأر لخاله، خرجت الزباء فأبصرت الإبل تكاد قوائمها تنوخ

---

(١) د. ورقاء يحيى قاسم المعاضيدي (٢٠١٠ م) ، الرمز التراثي قراءة في قصيدة البكاء بين يدي زرقاء اليمامة، العراق ، مجلة التربية والعلم – جامعة الموصل، المجلد (١٧)، العدد (١)، ، ص ٢١٤ .

(٢) ينظر: دومنيك مانغونو(٢٠٠٨م) : المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ت محمد يحياتن، الجزائر،الدار العربية للعلوم، ناشرون، ص ٩٨ .

في الأرض من ثقل أحمالها، فقالت: (ما للجمال مشيها وئيدًا أجندلا يحملن أم حديدًا) فقال مقير في نفسه: (بل الرجال قبضًا قعودًا)، وقد وقعت أسيرة بيد الروم، بمساعدة ابن عدي، ولكنهم لم يظفروا بقتلها، إذ مصت السم الموجود في خاتمها،وقالت بيدي لا بيد ابن عدي، وماتت سنة ٢٦٠ م [١] هذه الشخصيات الواردة هنا كلها تعبر عن الرفض ٠

والآن نأخذ فى تحليل القصيدة حسب تصنيف سيرل الذي قسم الأفعال الكلامية إلى : إخباريات أو تقريرات Assertives، التوجيهات أو الأمريات أو الطلبيات ، الالتزاميات أو الوعديات ، التعبيرات أو البوحيات ، الإعلانيات أو الإيقاعيات٠

لقد تعدّدت الأفعال الكلامية في هذه القصيدة، وهذا يدل على تعدد أهداف الشاعر، فكانت الأفعال الكلامية تارة تعبيرية وتارة أخرى توجيهية، وكان الإنجاز مرّة سلوكيا ومرة أخرى تقريريا، كما جاءت الأفعال بشكل مباشر وأحيانا جاءت تلميحية.

وهذا ما أدّى إلى نجاح الأفعال الكلامية في تحقيق القوة التأثيرية، فقد حملت متلقي القصيدة على الاعتقاد بمرارة الواقع والسعي لتغييره ، وحققت هدف الإقناع، وجذبت انتباهه من أوّل بيت ٠ وهذا ما سنحاول إثباته على النحو الآتي ٠

وقبل أن نبدأ في حصر الأفعال الكلامية في القصيدة حسب نظرية سيرل فإننا نتوقف قليلا عند العنوان : (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) ونتساءل : أين سيكون موضع هذا العنوان من تصنيفات سيرل ؟ هل هذا

---

(١) ينظر : الميداني : مجمع الأمثال ١/ ٢٣٦ ٠

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

عنوان وصفى خبري لا ينجم عنه أي فعل كلامي ، أم هو عنوان كلامي يتولد منه أفعال إنجازية ٠ ومن ثم قوى تأثيرية؟

وللإجابة عن هذا السؤال فإنه ينبغي علينا أولا أن نسد الفجوات الدلالية الغائبة في الخطية الأفقية للعنوان : فهل المحذوف هنا هو الخبر فيكون العنوان : أفقيا كالتالي : (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة مُرٌ وأليم)، أو أن يكون الخبر هو (كائن بين يدي) ونسد الفجوة الناقصة بقولنا : (البكاء المر كائن بين يدي زرقاء اليمامة) ، أو يكون البكاء مبتدأ وتكون القصيدة كلها هي تفصيل هذا البكاء ؟ وهذا الذي أختاره لما له من دلالة شمولية ، تصل ما بين القصيدة وعنوانها على نحو واع ، فالعنوان كان بمثابة الموجز ، وكانت القصيدة هي تفاصيل هذا الموجز ، فالعنوان بهذا يكون نصا مصغرا ، والقصيدة هي النص المكبر الذي يكشف مكنونات ذلك العنوان٠

وبذلك يكون العنوان حسب نظرية سيرل يندرج تحت الأفعال التقريرية الإخبارية حيث أوجز الشاعر في جملة واحدة مكتنزة بالدلالات كل تفاصيل الأحداث التي تأتى لاحقا ، ويكون الغرض الإنجازي لجملة العنوان هو خلخلة منطق الأشياء ، والهروب الكبير من الحاضر إلى الماضي في لحظة واحدة ، هذا الهروب النفسي الرهيب كان من ضعيف (هو الشاعر أو المواطن البسيط أو المثقف المهان) إلى من هو أضعف منه (كالمستجير من الرمضاء بالنار) ، هروب يُسكِّن النفس تسكينا لحظيا ، فماذا تفعل الزرقاء حين البكاء بين يديها وهى المظلومة أيضا ، والمتنبئة الحريصة التي قُتلت من أجل حرصها على نجاة قومها ، فكيف يكون البكاء بين يديها؟، وهى تحتاج من تبكى بين يديه ، ومن يبكي عليها ، لقد أحدث هذا

العنوان غرضا إنجازيا رائعا لدى القارئ ، مفاده أنه لا فائدة ، نحن لا نملك سوى البكاء ، نحن في منظومة وسلسلة الوهن والضعف بحيث نبكي بين يدي من لا ينفع ولا يفيد ولا يجير ولا ينقذ ، بالضبط نحن نحرث في الماء ، وهذا الأمر أحدث غرضا إنجازيا تأثيريا رهيبا لدى المتلقي الذي أفزعه ذلك البكاء المتواصل ، بكاء المواطن البسيط مع نفسه ،وبكاء المثقف مع كلماته وبكاء الشاعر بين يدي قصيدته ، كما تم حمل المتلقي للربط بين الحاضر والماضي ، فما كان بالأمس أسطورة وثيمة شعبية ،صار الآن واقعا معاينا ، وأمرا مفروضا ، وجرحا غائرا لا إمكان لسد عمق جرحه وتضميد خزاياه .

١- الأفعال التقريرية (الإخباريات) Assertives

هدفها هو تعهد المرسل بدرجات متنوعة بأنّ شيئا ما هو واقعة حقيقية، وتعهده كذلك بصدق قضية ما. والغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلم واقعة ما ، من خلال قضية يعبر بها عن هذه الواقعة، وأفعال هذا الصنف تحتمل الصدق والكذب، واتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم Words– to– world ، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في النقل الأمين للواقعة، والتعبير الصادق عنها، وإذا تحققت الأمانة في النقل، فقد تحقق شرط الإخلاص، وإذا تحقق شرط الإخلاص أُنجزت الأفعال إنجازا ناجحا أو تاما، وإلا أصبحت أخبارا لا معنى لها . (١)

فحين نقرأ هذه القصيدة (البكاء بين يدي زرقاء اليمامة) نلحظ غلبة الأفعال التقريرية الإخبارية حيث احتلت مساحة تعبيرية كبرى من حجم القصيدة ، وهذه الأفعال الكلامية تتنوع ما بين الحاضر والماضي ، ومن

(١) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص49

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المعروف أن الأفعال الماضية تفيد التقرير ، والأفعال المضارعة تفيد الحال والاستقبال ، إلا أن الأفعال بكل أصنافها ذات أبعاد تداولية ، فيها قوة متضمنة في القول ، كما يقول سيرل : " ملء اللفظ بقوة إنجازية معينة ، والقوة التعبيرية هي الصيغة التي يخرج بها الكلام كأن يكون وعدا أو تهديدا أو التماسا أو تقريرا ." (١)

لقد سرد الشاعر بسرعة كمية كبيرة من تلك الأفعال التقريرية الإخبارية التي تعبر عن محنته المعاصرة ، والتي ينقل بها قضية حقيقية اختلطت بدمه ولحمه ، فهو ينجز بالفعل الكلامي عدة أمور وهى :

أولا : العودة بأكاليل الذل عوضا عن أكاليل الغار

فأي جندي بعد المعركة يعود منتشيا محملا بأكاليل الغار بعد النصر على الأعداء ، إلا أن واقع الهزيمة العربية في ذلك التوقيت جعل الجنود يعودون منكسي الرأس والقلب ، فها هو الجندي الذي تقمص أمل شخصيته يعود مع من عادوا ،ويقف بين يدي زرقاء اليمامة قائلا :

(جئتُ إليكِ.. مُثخنًا بالطعناتِ والدماء/ أزحف في معاطف القتلى وفوق الجثث المكدسة / منكسرَ السيف، مغبر الجبين والأعضاء.)

لقد عاد محملا بالذل والعار والهزيمة ،حيث ينقل أمل بالأفعال التقريرية ما حدث ، ويخبر عن صورة قاتمة ذليلة للعربي عموما الذي أسخن بالهزيمة ، وشرب الذل والعار من رأسه لأخمص قدميه ، وهو هنا يذكرنا حين البكاء ، بصورة أو بأخرى بحالة الشاعر العربي القديم الذي كان

(١) محمد مفتاح : الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، بيروت، دار التنوير ، ، د٠ ط ، ص ١٤٠

يستوقف صاحبيه ويبكى على أطلال المحبوبة ، وأمل هنا يبكى على أطـــلال وطن ضاع بيد أبنائه قبل أعدائه.

وهو بالفعل التقريري الإخباري ينجز فعلا كلاميا رائعا ، ويعطي قـــوة إنجازية تأثيرية عظيمة ، حيث يرسم صورة محزنة لحالة العربي المنكســـر الذليل الذي يهرب من الواقع المرير إلى الأسطورة القديمة ، أو يهرب إلـــى الخيال الشعري ، فالبكاء بين يدي زرقاء اليمامة التي ترى مـــا لا يـــرون ، إنما هو البكاء بين يدي الشعر أو بين يدي الشاعر الذي يرى بحاسته ما لا يرى الآخرون . وكل هذا البكاء إنما هو عبارة عن مســـكنات لا تجـــدي ، فماذا يفعل الشعر أمام الضياع والخيانة والعار؟ وهل ثمة من سمع للشـــاعر أو استجاب له ؟

ثانيا : سبب المجئ للواقع الافتراضي الخيالي

إن تبني الشاعر لقضايا أمته ، جعله ينقل مظاهر الواقع بكـــل آلامهـــا وجراحها، وقد نجح أمل دنقل في هذا ، وحقق الغرض الإنجازي المبتغـــى ،حيث صارت المطابقة بحسب تصنيف سيرل من الكلمات إلى العالم ، وفعلا لقد عاشت كلمات أمل حية في كل عصر ومصر ، معبرة وطائرة بـــالغرض الإنجازي من مكان لمكان وزمان لزمان.

(أسأل يا زرقاء عن ساعدي المقطوع.. وهو ما يزال ممسكًا بالرايـــة المنكسة / عن صور الأطفال في الخوذات.. ملقاةً على الصـــحراء / عـــن جاري الذي يَهُمُّ بارتشاف الماء/فيثقـــب الرصـــاصُ رأســـه.. فـــي لحظـــة الملامسة! / عن الفم المحشوِّ بالرمال والدماء!!/ أســـأل يـــا زرقـــاء../عن

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقفتي العزلاء بين السيف..، والجدار! / عن صرخة المرأة بين السبي.. والفرار؟)

يسرد الشاعر الجندي هنا لزرقاء اليمامة التي تمثل الواقع الافتراضي الخيالي ما حدث في المعركة ، فحين لم يجد من يستمع إليه في أرض الواقع ،هرب إلى الخيال ، يسرد أمام شخصية ميثولوجية صنعها في عالمه الخاص ما كان حقيقة نازفة مؤلمة في واقعه الكئيب ، فهو يستجير بالخيال من الواقع ؛ عله يجد في الخيال أو التنفيس عن مشاعره المكبوتة من يحنو عليه ؛أو من يستمع له ، لقد حقق الشاعر غرضه من التنفيس عن تلك المشاعر المحترقة في صدره ٠

لقد أخبر أمل بالأفعال التقريرية عن وقائع كثيرة مهينة ومنكسرة ، فهنا صور متلاحقة تدمي القلب والعين (للذراع المقطوع والراية المنكسة ، والجنود القتلى ، عن الذل حيث الرمال تحشو أفواه الرجال وتمنع عنهم الماء ، عن وقفته العزلاء التي لم تستطع إنقاذ نساء العرب رمز العزة٠)

وبهذا استطاع أمل تحقيق الغرض الإنجازى والتأثيري ، فقد حفز المتكلم على نقد واقعه ؛ليخرج الآن أو فيما بعد من هذا الذل المهيمن والشامل ٠

ثالثا : مظاهر الهزيمة

(فالجرذان.. / تلعق من دمي حساءَها.. ولا أردُّها! / لا الليل يُخفي عورتي.. ولا الجدران! / ولا اختبائي في الصحيفة التي أشدُّها.. / ولا احتمائي في سحائب الدخان٠)

لقد حق أمل بالأفعال التقريرية في هذه المقطوعة ما يصبو إليه من غرض إنجازي وهو تعديد مظاهر الهزيمة ، ودفع المتلقي إلى التغيير ، فالذل قد بلغ مداه ، لقد وصلنا للدرجة أن الجرذان الحقيرة (إسرائيل) تشرب دماءنا ، فلا ينفع السكوت بعد الآن ، ومهما فعل المواطن من صمت وهرب ليلا خلف الجدران ، أو خلف الصحيفة ، أو سحب الدخان ، فكل ذلك لن يحمي بعد الآن فالهزيمة طالت الجميع ، ولا حل إلا بدحر الهزيمة وأسبابها ٠

ومن مظاهر الهزيمة المحزنة ما يذكره أمل من قصة لطفلة كان يسمع خبرها من زميله الجندي الذي قضى وترك تلك الذاكرة العذبة في مخيلة الجندي الحي الميت حيث يقول :

(تقفز حولي طفلة واسعة العينين.. عذبةُ المشاكسة / – كان يقُصُّ عنك يا صغيرتي.. ونحن في الخنادق / فنفتح الأزرار في ستراتنا.. ونسند البنادق / وحين مات عطشًا في الصحراء المشمسة.. / رطَّب باسمك الشفاه اليابسة.. / وارتخت العينان!)

يخبر الشاعر هنا بالأفعال التقريرية عن قصة طفلة ابنة جندي قضى في تلك الحرب ، حيث يتذكر ما كان يحكيه عنها في اقتناص لحظات الراحة في الخنادق ،وكانت ابنته هي تسليته ومصدر سعادته ، لذا كانت المأساة شديدة جدا ، حيث لم يرجع ذلك الجندي إليها ، مرة أخرى ، وكانت هي آخر ما رطب به شفاهه وهو يخرج من الدنيا٠

وكان الغرض الإنجازي والتأثيري من تلك القصة هو بيان فداحة هذه الحرب التي أتت على أحلام البسطاء فقط ، فالجندي البسيط والفلاح البسيط

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لا تعنيهم المناصب، ولا أمور السياسة ولا أية مطامع فى الحكم ،بل أمنيتهم البسيطة هو اللمة العائلية آخر النهار ، فأحلامهم بسيطة ومتطلباتهم بسيطة، ولكن كل هذا قضى عليه الكبار ، ودفع ثمنه الصغار .

رابعا : نتيجة الخنوع

فقد سكتُّ سَنَةً فَسَنَةً / لكي أنال فضلة الأمان / قيل ليَ" اخرس.." / فخرستُ..وعميتُ.. وائتممت بالخصيان! / ظللت في عبيد (عبس) أحرس القطعان/ أجتزُّ صوفها../ أردُّ نوقها../ أنام في حظائر النسيان/ طعاميَ : الكسرة : والماء.. وبعض التمرات اليابسة/ وها أنا في ساعة الطعان/ ساعة أن تخاذلَ الكماةُ.. والرماةُ.. والفرسانُ/ دُعِيتُ للميدان!

إن تكرار الضمير (أنا) تأكيد على الأنا المسلوبة، المحكومة بالسكوت، وبين الاستئناس بالرأي الذي يتمناه عنترة / الشعب، هذا هو حال الحكومات التي تمارس القمع والكبت، تلك هي المعادلة الحقيقية: الحكومات / السلطة الشعب / العبودية.

(أنا الذي ما ذقت لحم الضأن / أنا الذي لا حول لي أو شأن../ أنا الذي أُقصِيتُ عن مجالس الفتيان / أدعى إلى الموت.. ولم أُدعَ إلى المجالسة!!)

لقد حقق أمل هنا غرضه الإنجازي والتأثيري ، حيث بين مدى خنوع الشعوب ، وسلب إرادتها، وضياع حقوقها ،وهي ما زالت في مكانها مفعولا بها لا فاعلة، تلقى إليها (الكسرة : والماء.. وبعض التمرات اليابسة).

خامسا : الشعب يدفع الثمن

إن اللافت للنظر أن الشاعر في المقطع الأول والثاني يتكلم بلسان المقاتل مرة ، وبلسان عنترة مرة أخرى ،حتى إذا ما وصل إلى المقطع الثالث (قايضوا بنا)، إذ أتحد صوته مع صوت رمزه،صوت الحاضر بصوت الماضي، وحدده الشاعر باتجاهين أو بإنجازين كلاميين :

الأول : مطالبته للزرقاء بالكلام، إعلانًا منه بالثورة على الوضع السائد.

الثاني : يتمثل حالته والصمت الذي يخنقه، وإن تكلم فمن يصدقه. (١)

(حين فوجئوا بحدِّ السيف : قايضوا بنا../ والتمسوا النجاة والفرار!)

وبعد هذا جاءت الأفعال التقريرية لترصد وتنقل بكاميرا الشعر المعمقة ما رآه حين هرب الكماة والفرسان وتركوا الشعب هكذا (ونحن جرحى القلبِ،/ جرحى الروحِ والفمِ./ لم يبق إلا الموتُ../ والحطامُ.. / والدمار...../ وصبيةٌ مشردون يعبرون آخر الأنهار / ونسوةٌ يُسَقن في سلاسل الأسرِ،/ وفي ثياب العار / مطأطئات الرأس : / لا يملكن إلا الصرخات التاعسة!)

وكان الغرض الإنجازي والتأثيري للفعل الكلامي هنا هو أن العلاقة بين أمل دنقل ورموزه هي علاقة مسؤولية مشتركة وإن اختلف الزمن، واستخدامه للضمير (نحن) يبين مدى العلاقة الوثيقة بينه وبين أفراد مجتمعه، إذ تمتزج آلامهم جميعًا.وتتفق أحلامهم جميعا ،وهم في الفرح سواء والهم سواء بسواء.

(١) د. ورقاء يحيى قاسم المعاضيدي : قراءة في قصيدة البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ، ص ٢١٩

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٢- أفعال التكليف والتوجيه أو الطلب :

غايتها الكلامية تكمن فى حمل الشخص على القيام بفعل معين ، واتجاه المطابقة في الغرض التوجيهى يكون من العالم إلى الكلمات ، والمسؤول عن ذلك هو المخاطب (١)

وهذه الأفعال طلبية توجيهية تُحسب كمحاولات لتحقيق تأثيرها عبر فعل المستمع كالنداء والأمر والنهي والاستفهام وغيرها.

لقد ترسخت التداولية كدراسة لغوية تتناول فعل القول، فالنص وظيفة يقوم بها المتكّلم بإنجاز فعل كلامي أو سلسلة من الأفعال الكلامية كالوعد والأمر...، يبين من خلالها هدفه في ممارسة الحوار ما دامت الحقيقة مرتبطة بحركة التواصل والمعنى المستهدف (٢)

ويلحظ الباحث هنا بالنسبة لأفعال التكليف والتوجيه والطلب غلبة ورود أفعال الاستفهام والنداء في القصيدة ، فالسؤال المتكرر من الشاعر للزرقاء شغل مساحة كبيرة ؛نظرا لما يحمله الشاعر الثائر من فوران داخلي أعظم من المونولوج ،يحتاج لإجابة سريعة وشافية ،يقول عبد الرحمن محمد القعود : " إن الجذر الأساسي الحي في القصيدة يكمن في سؤاله المتكرر للزرقاء ،وتأتي أهمية بنية السؤال للتعبير عن واقع اختلطت فيه الأشياء، إنه استفاقة لوعي باعث على مشاركة وجدانية من قبل المتلقي،

---

(١) ، ينظر : بلخير عمر (٢٠٠٣م): تحليل الخطاب المسرحى فى ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف ط١ ، ص ٦٠ .

(٢) ينظر: خوسيه إيفا نكوس، ، (د.ت) نظرية اللغة الأدبية، ترجمة: حامد أبو حمد، مصر ، مكتبة غريب، ، ص ٨٨

ولاسيما أن "أهمية التساؤلات التي لا تحمل إجاباتها ،هي إيثار لدائرة الحياد في إنتاج الدلالة من قبل المبدع ؛حتى ينهض المتلقي بدوره في المشاركة في الإبداع من ناحية، ويأخذ حريته في التحليل والتأويل من ناحية أخرى".(١)

فالشاعر حين يقول : (أسأل يا زرقاء / كيف حملتُ العار / تكلمي أيتها النبية المقدسة / تكلمي.. بالله.. باللعنة.. بالشيطان / لا تغمضي عينيك فالجرذان / تكلمي.. لشدَّ ما أنا مهان / فأين أخفي وجهيَ المتهمَ المدان؟ / والضحكةُ الطروب : ضحكته.. / والوجهُ. والغمازتان!؟ / أيتها النبية المقدسة.. / لا تسكتي.. فقد سكتُّ سَنَةً فَسَنَةً / لكي أنال فضلة الأمان / تكلمي أيتها النبية المقدسة / تكلمي.. تكلمي٠)

نجد أن أسلوبية الاستفهام هنا تتسم بقدرتها " على التركيز والتوتر والقلق ،واحتواء حوارية كامنة في النص ،تعمل على التكثيف ،واحتضان نبض الزمان والمكان ، واضطراب الرؤى ،وتوتر الأحداث ،واضطراب الوقائع ٠" (٢)

فالزرقاء من هول المأساة لا تنطق ببنت شفة، وربما كان صمتها سيميوطيقا دالة على إغماض عينيها عجزاً أمام هذه الحالة العربية، لكن الشاعر لا ينهار ولا يسقط لحمه من غبار الأتربة المدنسة، ورغم الإعياء

(١) عبد الرحمن محمد القعود (٢٠٠٢م) :الإبهام في شعر الحداثة، العوامل والمظاهر وآليات التأويل،الكويت، سلسلة . عالم المعرفة، (٢٧٩)، مطابع السياسة، ص٢٣٠ ٠

(٢) د. بشرى حمدي البستاني (٢٠٠٧ م)شعرية الحزن العراقي قراءة في ديوان علي جعفر العلاق سيد الوحشتين،العراق ، مجلة الأديب ، ع ١٤٧ ، لسنة ٦ ٠

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

العاجز فإن زرقاء اليمامة، تلك النبية المقدسة تدفع صمتها ثمنا لما بقي من أمان بعد أن فقأوا عينيها :

(أسائل الصمتَ الذي يخنقني : / " ما للجمال مشيها وئيدًا..؟! " /" أجندلاً يحملن أم حديدًا..؟! "

فمن ترى يصدقني؟ / أسائل الرُكَّع والسجودا / أُسَائِلُ القيودا : " ما للجمال مشيها وئيدًا..؟! ")

وهكذا حققت أفعال الاستفهام ما يصبو إليه الشاعر من قوة إنجازية وتأثيرية من التنفيس عن مكنونات نفسه، ودفع المتلقي للتفاعل مع تلك الحالة الشعورية عالية المستوى ، لقد نقلت هذه الأفعال مرارة الواقع وعلقمه ، فاستطاع الشاعر بالفعل الكلامي أن ينقل تلك المرارات من حيز ضيق ،إلى حيز أوسع ،من الداخل للخارج ،وعبرت هذه الكلمات حدود المكان والزمان شاهدة على حقبة النكسة وما تم فيها من تجهيل وتقزيم للإنسان العربي تحت واقع السلطة وجبروتها .

بعد هذا تأتي أفعال النداء لتكمل نقل الصورة ،فالنداء من الأفعال الكلامية التوجيهية، لأّنه يحّفز المتلّقي لرد فعل المتكّلم. وأبرز أدواته (الياء)، التي تحّقق آلية النداء في الخطاب على وجه العموم والشعر على وجه الخصوص ،أغراض مختلفة كالإغراء والتحذير والاختصاص والتنبيه والتعجب والتحسر، وإن حمل كلّ هذه الآليات على بعدها التداولي يعطيها بعدا ديناميا يجعل الدراسة التداولية مناسبة لطبيعة الخطاب الشعرى وبنيته.

يقول أمل مستخدما أفعال النداء :

(أيتها العرافة المقدسة.. / ماذا تفيد الكلمات البائسة؟ / فأين أخفى وجهيَ المُشوَّها / كي لا أعكر الصفاء.. الأبلهَ.. المموَّها / ها أنت يا زرقاء / وحيدةٌ... عمياء! / وما تزال أغنياتُ الحبِّ... والأضواء / والعرباتُ الفارهاتُ.. والأزياء! / فأين أخفى وجهيَ المُشوَّها / كي لا أعكر الصفاء.. الأبلهَ.. المموَّها. / في أعين الرجال والنساء!؟)

لقد عبر الشاعر بالنداء والاستفهام عن نهاية تراجيدية ذات أبعاد مأساوية، شكلت مفارقة لفظية اشتهرت بها زرقاء اليمامة وهي حدة البصر، وفي ذلك إشارة واضحة لمواقف الدول العربية المعاصرة من أعداء الوطن، على الرغم من توقعات وتنبؤات المراقبين من المفكرين والسياسيين و المثقفين. ووقَّع في نهاية القصيدة بهذا النداء :

(وأنت يا زرقاء.. / وحيدة.. عمياء! / وحيدة.. عمياء!)

والغرض الإنجازي لذلك النداء يوضح علاقة الوحدة بالعمى، التي تشكل ثنائية عجز حقيقي ولاسيما أن أهمية البصر له علاقة بالفكر وسعة الرؤيا التي تؤكد بما لا يقبل الشك أن الشاعر يرى ما لا يرى الآخرون ، ولذا فهو وحيد يختار العزلة والعمى على ما يرى من حقائق مخزية لا يراها الآخرون وصدق أبو العلاء إذ يقول :

ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً تجاهلت حتى ظن أني جاهلُ

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٣- الالتزاميات أو الوعديات :

غايتها الكلامية في التزام المتكلم بفعل شيء ما ، واتجاه المطابقة في الغرض الالتزامي يكون من العالم إلى الكلمات ، والمسئول عن ذلك هو المتكلم ، وأفعاله تتمثل فى أفعال التكييف ، الوعد ، التعهد ، القسم [١] .

فهم قد وعدوا الشاعر بأن يصمت ويخرس لكي ينال القليل من الأمان يقول أمل :

(فقد سكتُّ سَنَةً فَسَنَةً / لكي أنال فضلة الأمان / قيل ليَ" اخرس.."/ فخرستُ..وعميتُ.. وائتممت بالخصيان!)

وقد أستخدم الشاعر أفعال التعهد التي وصلت لحد القسم ؛ ليعبر عن التزامه بكلام السادة حتى أنه تقمص شخصية عنتر العبسي وهو الفارس النبيل رغبة في ذلك الأمان المزعوم حيث يقول :

ظللت في عبيد (عبس) أحرس القطعان / أجتزُّ صوفها.. / أردُّ نوقها.. / أنام في حظائر النسيان / طعاميَ : الكسرة : والماء.. وبعض التمرات اليابسة .

لكن هذا التعهد وهذا الوعد وهذا القسم لم ينفعه ساعة الكرب والحرب ، فقد فر السادة وتركوا من رضي بالذل يدعون إلى الموت وحدهم (أدعى إلى الموت.. ولم أُدعَ إلى المجالسة!!).

---

(١) بوجادى خليفة (٢٠٠٩م): فى اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلها فى الدرس العربى القديم ، الجزائر، بيت حكمة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ص ٩٩ .

٤- التعبيرات أو البوحيات

وهى الأفعال التمرسية عند أوستين ، وتعبر عن حالة مع شرط صدقها [١] واتجاه المطابقة في الغرض التعبيري هو الاتجاه الفارغ ؛"لأن المتكلم في هذا الصنف لا يحاول أن يجعل الكلمات تطابق العالم الخارجي ، ولا العالم الخارجي يطابق الكلمات ، وكل ما هو مطلوب الإخلاص في التعبير عن القضية ، ويدخل في هذا الصنف أفعال الشكر ، التهنئة ، الاعتذار ، التعزية ، الترحيب ."[٢]

فالشاعر أمل يعتذر عما حدث ، وهو لا يوجه كلامه لمخاطبين حقيقيين، أو لواقع حقيقي أو لعالم يعرفه ، إنه يعتذر لعالم افتراضي جميل كان بوده أن يحياه، إنه يعتذر لتلك الأسطورة التي صنعها في مخيلته ،إنه يعتذر للشعر ذلك الكائن الجميل ،وللخيال ذلك المخلوق البديع حيث يقول :

ترحيب / أسأل يا زرقاء.. / عن فمكِ الياقوت، عن نبوءة العذراء / أيتها العرافةُ المقدسة

اعتذار / أسأل يا زرقاء / عن ساعدي المقطوع.. وهو ما يزال ممسكًا بالراية المنكسة / عن صور الأطفال في الخوذات.. ملقاةً على الصحراء / عن جاري الذي يَهُمُّ بارتشاف الماء / فيثقب الرصاصُ رأسه.. في لحظة الملامسة! / عن الفم المحشوِّ بالرمال والدماء / أين أخفي وجهيَ المتهمَ المدان؟ / والضحكةُ الطروب : ضحكته.. / والوجهُ. والغمازتان!؟

---

(١) ينظر: بوجادى خليفة : في اللسانيات التداولية ، ص١٠٠

(٢) محمود أحمد نحلة : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص ٨٠

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٥- الإعلانيات أو الإيقاعيات

تكون حين التلفظ بها ٠ وغايتها الكلامية تكمن في إحداث تغيير عــن طريق الإعلان [١] واتجاه المطابقة يكون من المتكلم للعالم والعكس٠

وبالفعل هذا ما حدث هنا ، فلقد أبرز الشاعر أمل بالأفعال الإعلانية ما حذرت به الزرقاء قومها، أو في الحقيقة ما حذر به الشاعر قومه ، لكــنهم أبوا إلا النكاية بمن يذكرهم ، وأبو إلا تسفيه من يبصرهم :

قلتِ لهم ما قلتِ عن قوافل الغبار.

فاتهموا عينيك، يا زرقاء، بالبوار!

قلتِ لهم ما قلتِ عن مسيرة الأشجار..

فاستضحكوا من وهمك الثرثار

---

(١) بوجادى خليفة : في اللسانيات التداولية ، ص ١٠٠

خاتـمـة:

لقد حاولنا من خلال هذا البحث دراسة قصيدة شعرية بمنظور لساني تداولي، وقد قمنا بخطوتنا الأولى في التقريب بين الجانبين الأدبي واللساني التداولي، وذلك بتطبيق أحدث ما توصلت إليه اللسانيات التداولية على خطاب شعري، ولأنّها المحاولة الأولى من نوعها، لا ننكر أنّه قد يشوبها بعض النقص.

فلقد تعودنا في دراستنا للتداولية على أمثلة من اللغة العادية التي يسهل التطبيق عليها، أمّا الشعر فيمتاز بتكثيف المعاني التي يمكن أن تعدد تأويلاتها، إذ يمكن لكل متلق أن يؤول مقصدية الشاعر بطريقته الخاصة، وكان دافعنا والمحفز لنا على تلك الدراسة هو أن شعر أمل دنقل اقترب من الجمهور كما لم يقترب شاعر غيره ولذا كانت دراستنا تلك التي طبقت نظرية الأفعال الكلامية على تلك القصيدة الرائعة ، البكاء بين يدي زرقاء اليمامة ، وقد رأينا أن تقسيمات أوستن وتابعه سيرل تصدق كل التصديق على تلك القصيدة ، وبهذه الدراسة فإننا ندعو لدراسة قصائد كثيرة وخاصة لشعراء التصقوا بلغة الحياة العادية كأمل ودرويش ومظفر النواب وغيرهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس المصادر والمراجع

أولا :الكتب المؤلفة والمترجمة

م	المؤلف	الكتاب	دار النشر
١	أمل دنقل (٢٠٠٥م)	الأعمال الكاملة ، قصيدة البكاء بين يدي زرقاء اليمامة،	مصر ، مطبعة مدبولي ، الطبعة الثانية
٢	بلخير عمر (٢٠٠٣م)	: تحليل الخطاب المسرحى فى ضوء النظرية التداولية	، منشورات الاختلاف ط١
٣	بوجادى خليفة (٢٠٠٩م)	: فى اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلها فى الدرس العربى القديم	، الجزائر، بيت حكمة للنشر والتوزيع ، ط١
٤	بوفرومة حكيمة (٢٠٠٨م)	: دراسة الأفعال الكلامية فى القرآن الكريم ٠ مقاربة تداولية	المدينة الجديدة- تيزي وزو ، العدد الثالث: مايو٠ مجلة الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر
٥	بولفعة خليفة (٢٠٠٨م)	: مدخل إلى النظريات التداولية	، الطبعة الأولى ، الجزائر ، مطبعة رويغى ، الأغواط ، منشورات الحياة ، الصحافة الجلفة
٦	جون لانكشو أوستين (٢٠٠٨ م)	نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام.	ت رجمة: عبد القادر قنيني. ط٢ .الدار البيضاء- المغرب-. إفريقيا الشرق.
٧	خوسيه إيفا نكوس، ، (د.ت)	نظرية اللغة الأدبية	، ترجمة: حامد أبو حمد، مصر ،مكتبة غريب
٨	دومنيك مانغونو(٢٠٠٨م)	: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب	، ت محمد يحياتن، الجزائر،الدار العربية للعلوم، ناشرون
٩	رومان ياكبسون (١٩٨٨م)	قضايا الشعرية	، ترجمة محمد الولي ومبارك حنون ، الطبعة الأولى ، المغرب ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء
١٠	سامية الدريرى (٢٠٠٧م)	الحجاج في الشعرالعربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة ، بنيته وأساليبه	الأردن عالم الكتب للنشر والتوزيع ، إربد

١١	سيد البحراوى (١٩٩٤م)	الحداثة العربية فى شعر أمل دنقل ، من كتاب دراسات نقدية فى أعمال السياب	، ط١ ، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات
١٢	طارق خلايفة (٢٠١٥م)	: تلقي الخطاب الشعري من منظور تداولي في قصيدة	"منشورات فدائية على جدران إسرائيل" لنزار قباني رسالة ماجستير مخطوطة في الآداب ، إشراف دكتور عمار شلواى ، الجزائر ، كلية الآداب ، جامعة محمد خيضر
	فان دايك (٢٠٠١م)	. علم النص. مدخل متداخل الاختصاصات.	ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري. ط١ القاهرة - مصر-
١٣	محمد مفتاح :	الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)	بيروت، دار التنوير ، ، د٠ ط
١٤	محمود أحمد نحلة. (٢٠٠٠ م)	آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر.	(د.ط) الإسكندرية - مصر- دار المعرفة الجامعية
١٥	الميداني أبو الفضل احمد بن محمد (٥١٨ هـ) (١٩٧٢ م)	مجمع الأمثال	، ت محمد محي الدين عبد الحميد . بيروت ، دار الفكر

ثانيا : الدوريات والمجلات

١	بشرى حمدي البستاني (٢٠٠٧م)	شعرية الحزن العراقي قراءة في ديوان علي جعفر العلاق سيد الوحشتين	العراق ، مجلة الأديب ، ع ١٤٧ ، لسنة ٦
٢	بوزيد عائشة (٢٠١٠م)	الأفعال الكلامية فى الشعر السياسى لنزار قبانى	رسالة دكتوراه مخطوطة ، إشراف الدكتور عبد الحليم بن عيسى ، كلية العلوم الإنسانية ، الجزائر ، جامعة وهران
٣	سامية شودار (٢٠١٤م)	الخطاب الشعري في أطلس المعجزات لصالح الخرفي ، دراسة تداولية	، رسالة ماجستير مخطوطة بإشراف دكتور صلاح الدين ملاوي ، الجزائر .كلية الآداب ، جامعة محمد خيضر بسكرة
٤	عبد الرحمن محمد القعود (٢٠٠٢م)	:الإبهام في شعر الحداثة، العوامل والمظاهر وآليات التأويل	،الكويت، سلسلة . عالم المعرفة، (٢٧٩)، مطابع السياسة،
٥	ورقاء يحيى قاسم المعاضيدي (٢٠١٠م)،	الرمز التراثي قراءة في قصيدة البكاء بين يدي زرقاء اليمامة،	العراق ، مجلة التربية والعلم – جامعة الموصل، المجلد (١٧)، العدد (١)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الفهرس

م	الموضوع	الصفحة
١.	ملخص	٣٣٩
٢.	Abstract	٣٤١
٣.	المقدمة	٣٤٢
٤.	الهدف من البحث	٣٤٣
٥.	أهمية البحث	٣٤٣
٦.	خطة البحث	٣٤٤
٧.	منهج الدراسة	٣٤٤
٨.	المبحث الأول: نظرية الأفعال الكلامية	٣٤٦
٩.	أفعال الكلام Les Actes de Langage	٣٤٦
١٠.	أفعال الكلام عند أوستين:	٣٤٦
١١.	المبحث الثاني :تحليل قصيدة (البكاء بين يدى زرقاء اليمامة) حسب نظرية الأفعال الكلامية	٣٥٢
١٢.	الأفعال التقريرية (الإخباريات) Assertives	٣٥٧
١٣.	٢-أفعال التكليف والتوجيه أو الطلب :	٣٦٤
١٤.	٣-الالتزاميات أو الوعديات :	٣٦٨
١٥.	٤-التعبيرات أو البوحيات	٣٦٩
١٦.	٥-الإعلانيات أو الإيقاعيات	٣٧٠
١٧.	خاتمة	٣٧١
١٨.	فهرس المصادر والمراجع	٣٧٢
١٩.	الفهرس	٣٧٤